كلية العلوم الاسلامية/ قسم التفسير وعلوم القرآن

المحاضر: ا. م. د. فاضل محمد كمبوع الزيدي

المرحلة : الثانية

المادة: مناهج المفسرين

المحاضرة الاولى

مناهج المفسرين تعريفها واهمية معرفتها

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وهو القائل ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

الكلام عن مناهج المفسرين من العلوم المهمة لأنّ التفاسير لكتاب الله جلّ وعلا كثرت جدّا حتى بلغت أكثر من مائة تفسير موجود بين أيدينا اليوم ، والتفاسير المفقودة كثيرة ، والتي لم تطبع كثيرة أيضا ، ولا بدّ لطالب العلم الذي يحرص على معرفة معاني كلام الله جلّ وعلا أن يعلم مناهج المفسرين وطرائقهم حتى إذا راجع تفسيرا لأحد المفسرين يعلم مع ما يتميز به ذلك التفسير ويعلم منهج المؤلف حتى لا يضيع بين كثرة التفاسير.

التعريف بمناهج المفسرين كمصطلح

المناهج لغة :جمع منهج، والمنهج والنّهج هو الطريق الملتزم.

المنهج اصطلاحا :- هو الخطة المرسومة المحددة التي تتمثل في القواعد والأسس والمنطلقات التي تعرف عليها المفسر والتي انطلق منها في فهمه للقرآن والتي التزم بها في تفسيره له، هذه الأسس كانت ضوابط له ولتفسيره.

أما الطريقة فهي الأسلوب الذي سلكه المفسر أثناء تفسيره لكتاب الله، والطريق التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها...

تعريف المفسر: «من له أهلية تامةٌ يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته، قدر الطاقة البشرية، وراض نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جُملاً كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عملياً بتعليم أو تأليف»

مناهج المفسّرين: "الطُرق التي يتبعها المفسِّرون في تفسير كتاب الله تعالى".

وقيل :هي الخطط العلمية الموضوعية المحددة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم للقرآن الكريم، وهذه الخطط الموضوعية لها قواعد واسس منهجية مرسومة ، ولها طرق واساليب وتطبيقات ظهرت في تفاسيرهم...

فمنهم الذي يعتمد على الرواية، ومنهم مَنْ يعتمد على الدّراية، ومنهم مَنْ يجمع بين الرواية والدّراية، ومنهم مَنْ يعتمد على الفهم الشَّخصيّ والمجال الذي تخصَّص فيه، وهذه المناهج متنوعة متعددة ومن المفسرين من يذكر شرطه في تفسيره ومنهم من لا يذكر ذلك .

كيف تعرف مناهج المفسرين ؟ لمعرفة المنهج أحد طريقين:

الطريق الأول : أن ينص المفسر على شرطه في التفسير في أول تفسيره ، أو أن ينص عليه في مواضع متفرقة من تفسيره مع خطبة الكتاب ، فإذا نص على شرطه كما فعل ابن كثير والقرطبي وأبو حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط .

الطريق الثاني : أن يعلم عن طريق الاستقراء ، والاستقراء كما هو معلوم قسمان: الاول: استقراء تام أو أغلبي .الثاني :استقراء ناقص

والاستقراء حجة إذا كان تاما أو أغلبيا لأنه يكون دالا على صحة ما بحث بالاستقراء فإذا استقرأ تفسير من التفاسير وعرفت طريقة ذلك المفسر ــ مثلا ــ في العقيدة والحديث والنحو والإسرائيليات وغيرها واستقرأ ــ الباحث ــ ذلك استقراء تاما بتتبع التفسير من أوله إلى آخره أو استقراءا أغلبيا فيقول : منهجه في التفسير كذا وكذا .....

أما إذا كان الاستقراء ناقصا قرأ في التفسير صفحة أو صفحتين أو ثلاثة أو مجلدا أو مجلدين ولم يستقرأ التفسير ــ استقراءا تاما أو أغلبيا ــ فلا يجوز أن يعتمد على ذلك الاستقراء الناقص إذ لابدّ لكون الاستقراء حجة أن يكون استقراءا تاما أو أغلبيا كما هو مقرر في موضعه من علم أصول الفقه.

وهكذا نعرف تلك المناهج عن طريق شرط المؤلف أو عن طريق الاستقراء التام أو الأغلبي .

وإذا لم يتمكن الباحث من الاستقراء ولم ينص المفسر علي شرطه فنعبر حينئذ بعبارة أخرى فنقول تميز التفسير الفلاني بكذا وكذا أو من خصائص التفسير الفلاني كذا وكذا.

التفسير في العصر الأول :عصر النبي–صلى الله عليه وسلم–

أنزل القرآن على النبي –صلى الله عليه وسلم– على سبعة أحرف، فثبت عنه بالتواتر عليه الصلاة والسلام أنّه قال: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) ونزول القرآن على سبعة أحرف يستفاد منه في التفسير فوائد كثيرة ، والنبي لم ينقل عنه من التفسير الشيء الكثير وإنما نقل عنه تفسير كثير من الآيات ولكنه ليس بالأكثر ، أما الصحابة رضوان الله عليهم فقد نقل عنهم من التفسير أكثر مما نقل عن النبي، فالنبي فسر آيات كثيرة بحسب الحاجة ، ففسر مثلا قوله جلّ وعلا (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) بأنّ الزيادة هي النظر لوجه الله الكريم جلّ وعلا ، وفسر قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بأن المغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى ، وكذلك فسر قوله تعالى:(وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة) بأنّ القوة الرمي ففي الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((ألا إنّ القوة الرمي ألا إنّ القوة الرمي)).

وسبب القلة في مرويات التفسير عن النبي صلي الله عليه وسلم وكثرته عن الصحابة :

١ــ أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يهابون سؤال رسول الله .

٢ــ أنهم كانوا يعلمون أكثر معاني كلام الله جلّ وعلا وذلك لأنّهم شهدوا التنزيل، ومشاهدة التنزيل ومعرفة أسباب النزول تورث العلم بمعاني الآيات ، كما هي القاعدة عند أهل العلم أنّ ((معرفة السبب يورث العلم بالمسبب)).

٣ــ أنهم كانوا يلازمون النبي صلي الله عليه وسلم فمعرفتهم بالسنة أكثر من غيرهم والسنة ــ كما هو معلوم ــ مفسرة للقرآن.

٤ــ ما يعلمونه من تنوع الأحرف وأنّ الآية يأتي لها تفسير في الحرف الآخر من القرآن ، فمثلا : قوله جلّ وعلا (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهنّ حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله) في أولها قال :ولا تقربوهنّ حتى يطهرن فهل يكتفي في جواز إتيان المرأة الحائض أن تطهر أم لابدّ أن تغتسل ؟ فهذا له تفسير في القراءة الأخرى (ولا تقربوهنّ حتى يطّهرن) بتشديد الطاء، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرجعون في الآية التي يحتاجون إلى تفسيرها إلى موضع آخر أو إلى قراءة أخرى فيتضح المعنى لهم وهم أهل تدبر للقرآن

لامتثالهم قول الله جلّ وعلا (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا).

٥ــ علمهم بلغة العرب لأنّ القرآن أنزل بلسان عربي مبين ومن سبل فهم هذا القرآن أن يكون المتدبر له على علم بلغة العرب قال جلّ وعلا:(وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم) وقال :(نزل به الروح الأمين ٠ علي قلبك لتكون من المنذرين ٠ بلسان عربي مبين)

التفسير في عهد الصحابة والتابعين :

بعد عهده عليه الصلاة والسلام كثر التابعون واحتاج الناس إلى أن يفسر لهم القرآن ، وسبب زيادة التفسير في عهد الصحابة عن عهد النبي أنّ الحاجة دعت إليه ، وذلك أنّ الصحابة كانوا يشهدون التنزيل ويعلمون كثيرا من السنة ويعلمون الأحرف وذلك بخلاف زمن التابعين فإنهم كانوا أقل في ذلك من الصحابة رضوان الله عليهم فلذلك احتاجوا إلي تفسير الصحابة .

مصادر الصحابة في التفسير :

١/ القرآن الكريم لأنّ القرآن مثاني يفسر بعضه بعضا .

٢/ السنة فإنّ النبي فسر لهم آيات تنصيصا وسنته تفسر لهم آيات كثيرة من القرآن لا على وجه التنصيص.

٣/ أسباب النزول ، ولهذا قال ابن مسعود ((ما من آية أنزلت إلا وأنا أعلم متى أنزلت ، وأين أنزلت ، والله لو أنّ أحدا على ظهر الأرض عنده علم بالقرآن ، ليس عندي تبلغه المطي لرحلت إليه)) وقد كان من أعلم الصحابة بأسباب النزول وهكذا غيره.

٤/ العلم بأحوال العرب التي كانوا عليها فإنّ من لم يعلم أحوال العرب التي كانوا عليها في عقائدهم ودياناتهم وتعبداتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وتجاراتهم ...الخ ، فإنّه لن يحسن التفسير لأنه سيجعل التفسير يناسب قوما دون قوم (ومعرفة السبب تورث العلم بالمسبب) ، (والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) .

٥/ سؤال بعضهم بعضا فإنّ ابن عباس سأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله في قول الله جلّ وعلا : إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فقال عمر : هما عائشة وحفصة.

٦/ لغة العرب لأنّ القرآن أنزل بلسان عربي مبين ، اذ ورد عن ابن عباس قوله: كنت لا أعلم معنى فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها ــ يعني ابتدأتها قبله ــ ففهم منها معنى فاطر السموات والأرض وابن عباس له في الاحتجاج بالشعر واللغة الميدان الواسع..

واحتجاج الصحابة في التفسير بلغة العرب كثير في ذلك فتكون من مصادر الصحابة رضوان الله عليهم في التفسير.

من مفسري الصحابة رضوان الله عليهم :

الصحابة رضوان الله عليهم توسعوا في التفسير وكان من أبرزهم في التفسير :

* عبد الله بن عباس : وكانت ولادته في شعب أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي عدة مرات بأن يعلمه الله التأويل وأن يعلمه الفقه فقال: اللهم فقهه في الدين اللهم علمه الحكمة اللهم علمه التأويل ، فبرز ابن عباس في التفسير كثيرا.

* عبد الله بن مسعود .* عائشة.* عمر.* علي رضي الله عن الجميع .فهؤلاء الخمسة يكثر النقل عنهم في التفسير ابن عباس وابن مسعود وعائشة وعمر وعلي بن أبي طالب أجمعين.

فضل تفسير الصحابة :

تميزت تفاسير الصحابة بأنّها اشتملت على الألفاظ القليلة والمعاني الكثيرة ولهذا من أتى بعدهم إنما يحوم حول كلامهم ، ولهذا قال ابن رجب)) كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة)) ، فمما يظهر في تفاسير الصحابة أنّها كلمات قليلة ولكن تحتها المعاني الكثيرة.

* تميزت تفاسير الصحابة بأنها سليمة من البدع سليمة من الضلال في الاعتقاد ، لأنهم أئمة المتقين وأئمة السلف وإليهم المرجع في التوحيد والعقيدة فتفاسيرهم لا غلط فيها ولا إشكال .

* تميزت بأنها يكثر فيها اختلاف تنوع ويقل فيها اختلاف التضاد ، واختلاف التنوع كما فسروا ــ مثلا ــ الصراط المستقيم فسره بعضهم بالقرآن ، وفسره بعضهم بالسنة ، وفسره

بعضهم بالإسلام ، وهذه من اختلافات التنوع لأنّ القرآن والسنة والإسلام بعضها يدل على بعض ولا يتصور قرآن بلا سنة أو سنة بلا إسلام .